

# أبو هريرة الدوسي اليماني

عبدالله بن غالب الحميري

هانحن نذف أمام نبذة وجيزة من ترجمة جبل من جبال الحفظ، إليه المنتهى في حفظ ماسمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدائه بحروفه بإتقان وثيق.

ألا وهو: الإمام الفقيه المجتهد والحافظ المتكمن الكثير سيد الحفاظ الثقات والمتقنين الإثبات صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو هريرة الدوسي اليماني على أقوال جمعة رجح البخاري والذهبي منهما: عبدالرحمن بن صخر. أما كُنْيَتُهُ فقد قال الذهبي في سِيرِ أعلام النبلاء «والمشهور أنه كُنِيَ بأولاد هرة برة قال وجدتها فأخذتها في كُمِّي فَكُنِيْتُ بِهَا». قال الطبراني: وأمه رضي الله عنها هي ميمونة بنت صَبِيح.

وقال الذهبي رحمه الله: حمل أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم علماً كثيراً طيباً مباركاً لم يُلْحَقْ في كثرته. وعن أبي بكر وعمر وأسامة وعائشة والفضل وبصيرة بن أبي بصيرة وكعب الجند وحدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين وقيل بلغ عدد أصحابه ثمانمائة.

كما اختلف أيضاً في إسلامه؛ فذكر غير واحد أنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في عام خيبر أول سنة سبع وأخرج الدراوردي ونقل عنه ابن كثير في البداية والنهاية وابن سعد في الطبقات وابن حجر في الإصابة، قال حدثنا خيثم بن عراك عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر وقدمت مهاجراً فصليت الصبح خلف سباع ابن عرفطة وكان استخلفه فقرأ في السجدة الأولى بسورة مريم وفي الآخرة ويل للمطفئين، فقلت: ويل لأبي! قل رجل كان بأرض الأزدي إلا وكان له مكبلان مكبلان لنفسه وآخر يبخس به الناس.

فعلَى هذا كانت ملازمة أبي هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم أربع سنوات فقط، ورغم قصر هذه المدة فقد صار أبو هريرة وعاءً من أوعية العلم ومرجعاً من مراجعه أعطاه الله فهماً ثاقباً وذكاءً خارقاً ورغبة كبيرة في العلم؛ فلم تكن تُلْهِيه الدنيا عن مواصلة جهده ولا تشغله بطنه عن ملازمة خليله؛ فقد كان المهاجرون يشغلهم الصفق في الأسواق، وكان الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم وكان هذا الصحابي الذؤوب يلزم الرسول صلى الله عليه وسلم على ملء بطنه وأنه ليُصْرَع من شدة الجوع أحياناً فيأتي الرجل الغريب فيضع رجله على رقبته ويظنونه مجنوناً

وما به جنون مابه إلا الجوع؛ ومع هذا كله فإنك تجد أبا هريرة هنا رغم فقره وجوعه معرضاً عن الدنيا زهداً فيها مقبلاً على طلب العلم وتحصيله.

يختبره الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً فيقول له «ألا تسألني في هذه الغنائم التي يسألني أصحابك»<sup>١٢</sup>، فيقول له: أسألك أن تعلمني مما علمك الله. فينزح النبي صلى الله عليه وسلم غمرة كانت على ظهر أبي هريرة ويبسطها بينه وبينه فحدثه حتى إذا استوعب حديث قال: «إجفها إليك». فأصبح أبو هريرة لا يستطع حرفاً واحداً مما حدثه<sup>(١١)</sup>.

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحهما وابن سعد في الطبقات وابن عساكر في التاريخ عن أبي سلمة عبدالرحمن ابن عوف أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: إنكم تقولون إن أبا هريرة بكثرت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وتقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثله.. وإن إخواني المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الأسواق وكان إخواني من الأنصار يشغلهم عمل أموالهم وكنت امرأ مسكيناً من مساكين الصفة ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني فأحضر حين يغيبون وأعي حين ينسون. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث يحدثه يوماً: «إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي جميع مقالتي ثم أجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول». فبسطت ثوبه علي حتى إذا قضيت مقالته جمعته إلى صدري فمانسيت من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك من شيء.

وفي رواية في الصحيحين والله الموعود إنني كنت امرأ مسكيناً أصحاب رسول الله على ملء بطني وإنه حدثنا يوماً فقال: «من يبسط ثوبه حتى أقضي جميع مقالتي ثم قبضه إليه لم ينس شيئاً سمع مني أبداً»، ففعلت، فوالذي بعثه بالحق مانسيت شيئاً سمعته منه.

وأخرج البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث، إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من نفسه».

وفي البخاري رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين: فأما أحدهما فبثثته في الناس، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم.

قال الشيخ الأرنؤوطي في تحقيقه لسير أعلام النبلاء: وقد حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه أبو هريرة على الأحاديث التي فيها تبين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم.. وقد كان أبو هريرة يكتفي عن بعضه ولا يصرح به خوفاً على نفسه منهم، كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان (يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية) لأنها كانت سنة ستين من الهجرة؛ واستجاب الله دعوة أبي هريرة فمات

قبلها بسنة.

قال ابن التير: جعل بفضهم هذا الحديث ذريعة الى تصحيح باطلهم، حيث اعتقدوا أن للشرعة ظاهراً وباطناً، وذلك الباطل إنما حاصله الإتحلال من الدين، وإنما أراد أبوهريرة بقوله قطع: أي قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم وتضليله لسعيهم: ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتومة لو كانت في الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها ويقول الذهبي قلتُ هذا دال على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنة في الأصول أو الفروع أو المدح أو الذم.. أما حديث يتعلق بحل أو حرمة فلا يحل كتمانها بوجه، فإنه من البيّنات والهدى.

وفي صحيح البخاري قول الإمام علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعلمون ودعوا ما ينكرون: أتحيون أن يكذب الله ورسوله؟! قلتُ ومثل هذا قول ابن مسعود كما في مقدمة مسلم: ما أنت محدثٌ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة وكذا لو بث أبوهريرة ذلك الوعاء لأرذلي بل لقتل.. ولكن العالم قد يؤديه اجتهاده الي أن ينشر الحديث الغلامي إحياءً للسنة، فله أجران وإن غلظ في اجتهاده... الي أن قال الذهبي رحمه الله «وكان حفظ أبي هريرة الحارق من معجزات النبوة».

وقال الشافعي: أبوهريرة أحفظ من روى الحديث في دهره.

ولأجل ذلك فقد كانت له رضي الله عنه مكانته الرفيعة ومنزلته العظيمة في نفوس الناس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعالمٍ ومحدثٍ وفقهٍ ومرجعٍ واسعٍ وذاكرةٍ عصر الوحي الحارقة.

فقد روى الترمذي في المناقب وحسنه وأحده في مسنده وابن عساكر في تاريخه وذكره الحافظ في الإصابة وعزاه للبخاري وجود إسناده، أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال لأبي هريرة: يا أبا هريرة، كنت أزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه.

ودخل يوماً على عائشة رضي الله عنها فقالت له: أكثر يا أبا هريرة عن رسول الله. قال: أي والله يا أمّاه ما كانت تشغلني عنه المرأة ولا المكحلة ولا الدهن. قالت: لعله.

وأخرج الحاكم في مستدركه (٢) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي - أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها دعت أبا هريرة فقالت له: يا أبا هريرة ما هذه الأحاديث التي تبلغنا عنك تحدث بها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل سمعت إلا ماسمعنا؟! وهل رأيت إلا مارأينا؟! قال يا أمّاه، إنه كان يشغلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة والمكحلة والتصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإنّي

والله ما كان يشغلني عنه شيء.

ولما رُفِع النبي صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى اشتغل أبوهريرة رضي الله عنه بالتعليم والفتوى ولكثرة تزامم الفتوى عليه فقد كان يسرد الحديث سرداً بدون ترتيل، فعابت عليه عائشة ذلك؛ ففي الصحيحين وغيرهما أن أباهريرة رضي الله عنه كان يجلس الى حجرة عائشة فيحدث ثم يقول يا صاحبة الحجرة، أتُنكرين مما أقول شيئاً؟، فلما قضت صلاتها لم تُنكر ما رواه ولكن قالت: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث سرديكم. وفي رواية أنه قام قبل أن تقضي صلاتها فقالت لو أدركته لرددت عليه أي: لأُنكرت عليه وبيئت له أن الترتيل في الحديث أولى من السرد.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وأعتذر لأبي هريرة بأنه كان واسع الرؤية كثير المحفوظ، فكان لا يتمكن من المهل عند إرادة التحدث كما قال بعض البلغاء أريد أن أقتصر فتزدحم القوافي على في.

وقيل لعبدالله ابن عمر رضي الله عنه: هل تنكر مما يحدث به أبوهريرة شيئاً؟ فقال لا، ولكنه اجترأ وجبناً. قال أبوهريرة رضي الله عنه: فماذنبى إن كنت حفظت ونسوا؟ (٣)

وناهيك بأبي هريرة علماً وقدرًا أن حبر الأمة وبحرها عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما كان يُحيل عليه المعضلات في الفتوى، ففي موطأ مالك ومُسند الإمام الشافعي بإسناد صحيح أن معاوية ابن أبي عياش الأنصاري كان جالساً مع ابن الزبير فجاء محمد بن إياس بن البكير فسأل عن رجل طلق ثلاثاً قبل الدخول فبعثه الى أبي هريرة وابن عباس وكانا عند عائشة فذهب فسألها فقال ابن عباس لأبي هريرة أفتة يا أباهريرة قد جاءتك معضلة، فقال: الواحدة تُبينها والثلاث تحرمها. فقال ابن عباس مثله.

قال الذهبي رحمه الله تعالى: وكان أبوهريرة وثيق الحفظ ما علمنا أخطأ في حديث.

وولي رضي الله عنه البحرين في خلافة عمر رضي الله عنه وأفتى بها ثم عزل عنها فعاد الى المدينة وأفتى بها وعلم فضربت إليه أعناق الإبل حتى مات بها رضي الله عنه سنة ٥٧ هـ عن ٧٨ سنة.

وقد ملأ الله قلوب المؤمنين بحب هذا الصحابي الفذ واستجاب دعوة نبيه الذي دعا له فقال: «اللهم حُبِّبْ عَبْدَكَ هذا وأمه الى عبادك المؤمنين وحَبِّبْهُمُ إِلَيْهِمَا». رواه الإمام مسلم وأحمد.

فلاتزال القلوب تُحِبُّه وتعرف له حقه لأن الله حفظ لنا به وبأمثاله الدين فجزاهم

عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وتأمل معي لفظ هذا الدعاء النبوي لترى أنه لا يحمل غضاظة في صدره أو بغضا لهذا الصحابي إلا من ليس من المؤمنين الصادقين، فلا عبرة إذن ببغض الرافضة ومن سلك مسلكهم لأبي هريرة أو غيره من حفظة الدين؛ فالرافضة ليسوا من المؤمنين في شيء، فإن أحبوا في الغالب فذم من أحبوه وإن أبغضوا فاحمد من أبغضوه وتبرؤوا منه وإن كان الرجل منحرفاً عنه ومعادٍ له وأكثر فسقاً أحبوه، فهم في وادي والمؤمنون في وادٍ آخر.

فلاتكن في وادي الرافضة فتكون من الذين قال الله فيهم «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا».

فهم أشد عداوة للإسلام وأهله وأشد حقداً على حفظة الدين وثقله الشرعية، وأشد مكرأ وتربصاً، وتاريخهم أسود حالك وتحالفهم مع اليهود والنصارى والتتار غير خاف على أحد؛ والله متم نوره ولو كره المشركون.

وأخيراً أقول:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار الى دليل

فعلى طلبية العلم أن يأخذوا العبرة من جهد هذا الصحابي واجتهاده وأن يستفيدوا من علمه اجتم وجهده الدؤوب، وأن يتحلوا بالحرص الذي كان يتحلّى به هذا الصحابي الجليل على الحديث ويلزم الرسول عليه الصلاة والسلام ملء بطنه.

وعليهم أن يكونوا أزهد الناس عما في أيدي الناس وأكثر تقى وورعاً، «واتقوا الله وعلّمكم الله». وعليهم أن يكونوا أكثر خشية لله لأن الله يقول «إنما يخشى الله من عباده العلماء». وعليهم أن يجعلوا للعلم هيباً ويتحلوا بالسكينة والوقار، قال بعض السلف كنا نضحك ونفرح فإذا صرنا بمكان يقتدى بنا ما أراه يسعنا ذلك.

وأخيراً فالخير كل الخير بالتفقه في الدين لقوله صلى الله عليه وسلم: «من برِدِ الله به خيراً يفقهه في الدين».

والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

١ : أبونعيم في الحلية ١/٣٨١، وابن عساكر في التاريخ ورجال الإسناد ثقات.

٢ : ٥٠٩/٣.

٣ : أخرجه الحاكم في مستدرکه ٢/٥١٠، وذكره الحافظ في الإصابة.